



جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ / المرحلة : الثالثة

المادة : فلسفة التاريخ

عنوان المحاضرة /

النظريات الأولى في تفسير التاريخ

.....

أ م د : نعمه بحر فياض

العام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

النظريات الأولى في تفسير التاريخ

ارتبطت النظريات الأولى في تفسير التاريخ بدايات تبلور الفكر التاريخي في الحضارة القديمة، وكانت بداياتها مرتبطة باكتشاف الكتابة التي تعد أداة التدوين التاريخي، وكان التدوين محدود في أغراضه دون أن يشكل نمو وعي تاريخي يدرك أهمية تدوين ما جرى في الماضي من حركة الإنسان والمجتمع في عملية التكوين الحضاري، وإن ذلك الوعي مر بمراحل زمنية عديدة ضمن إطار التكوين الفكري العام لحركة التاريخ لها القدرة على صياغة نظريات قد تكون عديدة ومختلفة في تفسير التاريخ والتي يمكن تقسيمها على مراحل عديدة أهمها :

١ - مرحلة الكتابة

٢ - مرحلة التدوين التاريخي

٣ - مرحلة الوعي التاريخي

٤ - مرحلة الفكر التاريخي

٥ - مرحلة نظريات تفسير التاريخ .

مارست الحضارات القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل أشكالاً متعددة من التدوين التاريخي بعد اكتشاف الكتابة، كان أهمها جداول الملوك والسلالات الحاكمة والمدونات المعروفة بالتواريخ ومن ضمنها سلالات الملوك السومريين، فضلاً عن مدونات الأحداث التاريخية المعروفة بالتواريخ والتي عكست الوعي التاريخي والسير باتجاه صياغة فكر تاريخي يتلاءم مع الحضارة التي ينتمي إليها، لاسيما أن ذلك الفكر التاريخي تبلور بظهور المكتبات التاريخية في العراق والتي كان من أبرزها مكتبة آشور بانيبال التي سعى مؤسسها إلى الحفاظ على المدونات التي تم تدوينها في المرحلة السابقة لعهد من الاستفادة منها في الجوانب المعرفية، ومنها تتبع جذور الماضي وأحداثه لفهم حاضرهم واستشراف مستقبلهم .

أن ذلتي الفكر كان قد افرزته فئة من الحكماء والمؤرخين الذين كانت نتاجاتي تتطوي على مادتها التاريخية، وذلك يمكن عدة نظريات أولى في تفسير التاريخ ومنهم (كايي - أيلاني - مردوخ) الذي عاش في القرف الثالث عشر قبل الميلاد والذي دون ملحمة آلة الطاعون البابلي إيررا (Erra) الذي عُدّ عملاً أدبياً كاملاً، وبعد أقدم نص في فلسفة التاريخ، وتضمن النص رؤيته عن هدف التاريخ وعوامل حركت ودورانه بين النهوض والانحطاط، فالتاريخ عنده عملية تحري بشكل دوري ، وان عصر الازدهار والنهضة تتبعه مرحلة من التراجع والانهيال الحضاري التي تؤدي إلى اضطراب المعايير وحدث تحلل اجتماعي وغزو أجنبي، ثم تتبعه مرحلة نهوض جديدة تقضي على عوامل التخلف وتعيد الأوضاع مرة أخرى إلى الازدهار في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

أن فكرة الحركة الدورية في الفكر التاريخي العراقي القديم كانت مرتبطة إلى حد كبير بما يسمى (بحركة الأفلاك)، إذ أدرك العراقيون القدماء منذ العصر الأكدي أن التاريخ عبارة عن تيار مستمر من حقب ذات طابع دوري تعود فيه كل حقبة بتوقيت فلكي إلى نقطة انطلاقها الزمنية التي انطلقت منها اول مرة ، وعادة ما تبدأ الدورة عند بالإله ثم السلالة ثم الدولة ثم الحاكم فالكوكب في حركة مستمرة، وربما كان ذلك التفسير لحركة التاريخ جعل العراقيون القدماء يتوقعون حصول أحداث مستقبلية لم تحصل في عصرهم استناداً إلى فكرة الحركة الدورية التي ادركوها.

وجدت فكرة التعاقب الدوري في نظريات تفسير التاريخ في الحضارات الشرقية القديمة قبل ان تنتقل إلى الفكر اليوناني لتظهر في وجهات نظر كثير من فلاسفة اليونان ومؤرخيهم ومنهم الفلاسفة (فيثاغورس ، وهيراقليطس، ويار ميندس، وامبيد وكليس، وثوكيو ديدس، وأفلاطون، وأرسطو)، والرواقين الذين كانوا يرون جميع الأحداث تسير على وفق نظام دوري .

أهم النظريات في تفسير التاريخ

النظرية الأولى الفيثاغورية :

التي تنسب إلى مؤسسها الفيلسوف فيثاغورس (٥٨٠-٥٠٠ ق.م) فهي فلسفة تسعى إلى فهم الكون وتفسيره، اذ وصف فيثاغورس والكون بانه كائن حي يستوعب خلاء لا حد له، والأشياء التي تحدث فيه تتكون من خلال الكشف عن مواطن والخلخل بالتحول من جنس إلى آخر وبالعودة الدورية للأشياء وبذلك تشارك الأشياء الفانية تبعاً لطبيعتها بالحياة التي لا نهاية لها.

النظرية الثانية هيراقليطس

وتنسب الى الفيلسوف هيراقليطس (٥٤٠ - ٤٧٥ ق.م) يرى أف جميع الأشياء، سواء كانت البشرية أو الإلهية، تمر وتمضي لتعود ثانية من جديد، فهي تعلق صعوداً لم تنزل هابطة في حركة مستمرة، وهي تفسير يتناغم مع فكرة التغير التي اشتهرت بها فلسفته، فكل شيء يتغير، فلا يستحم المرء في النهر نفسه مرتين، ما بارميندس ولد نحو (٥١٥ ق م)، فكان ينظر إلى التاريخ على أساس انه مكون من تغيرات كان يعود خلالها الانسان في حركته الى البداية التي كانت نقطة البداية لها .

النظرية الثالثة للمؤرخ اليوناني ثوكيوديدس (٤٧١ - ٤٠١ ق م)

تعد من ضمن كتاباته التاريخية عبارة عن أفكاراً عن مسيرة التعاقب الدوري للتاريخ، وبصورة عامة فإن منهج ثوكيوديدس اتصف بالنقد والتحليل لأحداث التاريخ التي دونها، وهي الحروب البيلوبونيسية (٤٣١ - ٣٠٣ ق م) التي دارت احداثها بين دولتي أثينا وأسبارطة وأحلافهما، مما أفرز تلك الأفكار الخاصة عف التعاقب الدوري التي تضمنتها مقدمة كتابه التاريخي، لاسيما إمكانية التكرار في الشؤون الإنسانية.

النظرية الرابعة افلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق م)

وهو تلميذ الفيلسوف أرسطو ٣٨٤-٣٢٢ ق م وها فيلسوفان يونانيان شهيران ، فقد تضمنت آرائهما الفلسفية تصورات عن تفسير التاريخ تقوم على فكرة التعاقب الدوري، فأفلاطون كان يرى أن هناك تكراراً دورياً وعودة مستمرة للعصور، وعلى الرغم من أن محاورته قد خلت من نظرية منتظمة

واضحة لمسيرة التاريخ وطبيعته، فإن تلك المحاورات كانت تحتوي على إشارات ضمنية كثيرة إليها، وبصورة عامة فإن أفلاطون كان يرى "إن العملية الكونية بمجملها تعتبر عملية دورية.

النظرية الخامسة أخذ الرواقيون:

الذين ينسبون إلى الفيلسوف (زينون السيتي) مؤسس المذهب الرواقي في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، بفكرة التعاقب الدوري نفسياً، إذ ينسب إلى زينوف السيتي أنه استعار من الفيثاغوريين فكرته التي تقول بالرجعة الأبدية أي أن أية حقبة يمر بها الكون هي في الاصل صورة مطابقة للحقبة السابقة لها من حيث أدوارها.

النظرية السادسة المؤرخ اليوناني بوليبيوس ٣٤٥ ٤٢٢ ق.م

الذي عاش في روما، وأرخ للدولة الرومانية ومرحلة غزوها لجزء كبير من العالم خلال ائ نصف قرن في كتاب التاريخ العام والذي يقع في ٤٥ جزءاً، فقد استلهم الرواقيين في نظام الدورات إذ تعرض بوليبيوس في كتابه لقيام الدولة الرومانية، وتوقع بعد ذلك نهايتها لإيمانه بفكرة الدورات في التاريخ، وبو يرى أن دورة الثورة السياسية هي من ترتيب الطبيعة، وخلالها تتغير دساتير الدول وتختفي ثم تعود في النهاية إلى النقطة التي بدأت منها، كما يرى أن هذه الدورات تتيح استشراف المستقبل، من وجهة نظره على وجه قريب من الدقة، وطبق نظريته هذه في تفسير التاريخ على الدولة الرومانية، وتنبأ باضمحلالها بعد أن وصلت في عهده إلى أوج عظمتها وتوسعها، فمعرفة طريقة تكوين هذه الدولة ونموها ومسيرتها نحو التقدم يفضي بالمثل التعرف على مراحل التراجع التي لا بد أن تتعقب ذلك النمو .

ومن ناحية أخرى، لا بد من التنويه بأن فكرة التعاقب الدوري في الفكر التاريخي للحضارات القديمة لاسيما العراقية واليونانية كانت ليها أشكال متعددة، فقد تكوف تلك الحركة الدورية لولبية تصاعدية تمثل فكرة التقدم المطرد، وهو تصور غالباً ما كانت تتبناه أفكار التعاقب الدوري أن هناك

تصورات ترى أن هناك قصوراً أو تراجعاً مستمراً يتحكم بمسيرة تلك الحركة الدورية. ولعل أقدم نص يفسر التاريخ على وفق هذه الرؤية، هو ما ورد في قصيدة الأعمال والأيام التعميمية لهسيود الشاعر اليوناني المتجول الذي عاش في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد تقريباً بعد هوميروس بزمن قليل. إذ قسم هسيود في هذه القصيدة تاريخ العالم إلى خمسة عصور متفاوتة بشكل انحداري في قيما وتوجهاتها وفكرها، وهي:

١ - العصر الذهبي: الذي سادت فيه قيم السلام والكمال، إذ سكن فيه الناس مع الآلهة مستمتعين بصحة جيدة لا يشقون بعناء ولا ألم.

٢ - العصر الفضي: وهو عصر حكم زيوس، الذي يقل عن سابقه في نبل صفاته، إذ أصبح الناس فيه وقحين في تعاملهم مع بعضهم، وأهملوا الآلهة.

٣ - العصر البرونزي: وهو عصر توحش وهمجية ولكنه شهد النهضة المنيوية التي ألهمت ذكرها المجيدة أشعار هوميروس.

٤ - العصر البطولي: وهو عصر ظهر فيوه الأبطال وعظماء الرجال، واتصف بانتشار الحروب خلاله.

٥ - العصر الحديدي: وهو العصر الذي فقدت فيه، كما يرى، قيم الخير، وساد فيه الحوف والبغضاء والتناحر والأنانية، واعتقد هسيود أنه يعيش في هذا العصر.